مسرح تاجانكا.. نهاية الأسطورة

عبد الله حبه
موسكو

مسرح تاجانكا في موسكو

اجتمع أعضاء فرقة مسرح تاجانكا بموسكو في مطلع أيلول الحالي بمناسبة بدء الموسم المسرحي الجديد في غياب مديره الفني وكبير مخرجيه يوري لوبيموف – الفنان المسرحي الأسطورة، فقد استقال المخرج من منصبه بسبب خلاف مع الممثلين حول الأجور. وقد يبدو هذا السبب مبتذلا. لكن هذا ما حدث في براغ حين كان المسرح يقدم عرض مسرحية "الرجل الطيب من سيتشوان" لبريخت التي بدأ بها المسرح مشواره الفني. وبهذا ترك المسرح مؤسسه الذي ذاع صيته في العالم منذ عام ١٩٦٤ حين قدم مع طلابه في معهد شوكين هذه المسرحية بالذات على خشبة "مسرح الدراما والكوميديا" بموسكو الذي تحول اسمه لاحقا إلى مسرح تاجانكا.

وأخرج لوبيموف فيه طوال أربعين عاما تقريبا أكثر من خمسين عرض مسرحي لمؤلفي المسرحيات منذ أيام الإغريق وعصر النهضة والقرن ١٩ الفضي بروسيا وحتى دوستويفسكي وتشيخوف وبريخت وبولجاكوف. وكان الفنان دائما في صراع شديد مع الموظفين الحزبيين السوفيت الذين اعتبروا أعماله خروجا على " الواقعية الاشتراكية" المعتمدة رسميا في مجال الثقافة في البلاد.ومنعت الرقابة العديد من أعماله المسرحية التي لم تقدم مرة أخرى إلا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

ثمة مسلمة يعرفها المسرحيون هو أن أي مسرح يولد ثم يشب ويبلغ ذروة الإبداع وبعد ذلك تدب فيه الكهولة والشيخوخة ومن ثم يأفل نجمه . هذا ما حدث لمسرح " جلوب" الشكسبيري ومسرح " باليه رويال" المولييري ومئات المسارح الكبرى الأخرى في العالم. ولقد أسس لوبيموف في تاجانكا مدرسة مسرحية جديدة يعتمد فيها العرض على النص وأداء الممثلين مع الموسيقى والرقص والغناء. وكان لوبيموف يشرك في جميع عروضه كبار الشعراء والملحنين الموسيقيين ومخرجي الباليه والرسامين. وواصل هذا الأسلوب في العمل لدى إخراج المسرحيات وعروض الباليه والأوبرا في مسارح فيينا وباريس ولندن وشيكاغو وبرلين وميلانو وغيرها من المدن.

ولد يوري لوبيموف في ٣٠ سبتمبر عام ١٩١٧ في عائلة فلاحية موسرة في قرية ابرامتسوفو بضواحي مدينة ياروسلافل.لكن بعد ثورة أكتوبر البلشفية صودرت أملاك العائلة وأصبحت معدمة تماما في فترة الحرب الأهلية. وانتقلت عائلة لوبيموف إلى موسكو بحثا عن الرزق في عام ١٩٢٢. وفي فترة القمع الستاليني اعتقل والداه وأصبح مع شقيقته وشقيقه الأكبر من المنبوذين (المحرومين من الحقوق المدينة). وقد تركت تلك الاحداث آثارها في تكوين شخصية لوبيموف المتمردة على الدوام.

وكانت والدته من هواة المطالعة وارتياد المسرح بصحبة أطفالها. وشاهد يوري ايامذاك في مسرح موسكو الفني عروض الأطفال مثل " الطائر الأزرق" لميترلنك و" ذو العقل يشقى بعقله.." لجريبوديوف .. بالاضافة الى " المفتش العام" لجوجول و" الغابة" لاوستروفسكي في مسرح ميرخولد. والتحق يوري بعد تركه المدرسة بمعهد مهني لعمال الكهرباء، وفي الوقت نفسه ارتاد مدرسة لتعليم الرقص الكلاسيكي. وفي عام ١٩٣٤ التحق بالاستديو الثاني التابع لمسرح موسكو الفني الذي أسسه الممثل المعروف ميخائيل تشيخوف(هاجر لاحقا إلى الولايات المتحدة) .

لكن الاستديو أغلق في عام ١٩٣٦ في حملة مكافحة " الشكلية " في الفن. فالتحق يوري بمعهد شوكين المسرحي التابع لمسرح فاختانغوف. وشارك لأول مرة في عروض المسرح مثل " الأميرة توراندوت" لكارلو غوتسي و" جعجعة بلا طحن" لشكبير . وفي هذه الفترة تعرف على المخرج المجدد ميرهولد الذي دعاه إلى مسرحه قبل إغلاقه واعتقال مؤسسه. وشاهد هناك أسلوب ميرهولد في الإخراج الذي أولى اهتماما كبيرا إلى حركة الممثل(البيوميكانيكا) والعنصر البلاستيكي والموسيقى في أثناء بروفات مسرحية "بوريس غودونوف"لبوشكين. ومنذ تلك اللحظة بدأ لوبيموف بتشكيل مفاهيمه المسرحية التي طبقها لاحقا مع طلاب معهد شوكين المسرحي. في الوقت نفسه واصل العمل كممثل في مسرح فاختانغوف بموسكومع مخرجين كبار مثل سيمونوف وزاخافا واوخلوبكوف حيث شارك في أكثر من ٣٠ عرضا مسرحيا. كما عمل في مجال السينما مع مخرجين مشهورين مثل الكسندروف ودوفشينكو وكوزينتسيف.

إن جميع تجارب لوبيموف في المسرح والسينما قد أعطت ثمارها لاحقا لدى إخراجه مسرحية " الرجل الطيب من سيتشوان" لبريخت التي ما زالت تقدم على خشبة مسرح تاجانكا حتى اليوم. وبدا أن هذا العرض كان طلابيا لكنه أثار دهشة الجمهور للجرأة التي قدم فيها العرض بدون الديكور والأزياء المألوفة وبمرافقة المؤثرات الموسيقية والرقص والغناء. وكان هذا العرض ثورة حقيقية في المسرح السوفيتي. وبدأت من هذا العرض رحلة لوبيموف الإبداعية في الإخراج التي جلبت له الشهرة العالمية وصارت المسارح الأوروبية والأمريكية تدعوه لتقديم عروضه أو لإخراج المسرحيات والأوبريتات وعروض الباليه. فدعاه المخرج السويدي انجمار بيرجمان لإخراج " مأدبة في زمن الطاعون" لبوشكين على خشبة المسرح الدرامي الملكي في ستوكهولم ودعاه مسرح "الميدا" في لندن لإخراج مسرحية " الممسوسون" لدوستويفسكي وأصبح مسرح تاجانكا بمثابة "جزيرة الحرية في بلاد تفتقد الحريات" – كما أشار النقاد الغربيون آنذاك. وجذب لوبيموف للعمل معه موسيقيين معروفين مثل شوستاكوفيتش وشنيتكه ودينيسوف وعبيدولينا وكبار الرسامين والكتاب والشعراء والمخرجين السينمائيين مثل تفاردوفسكي وتريفونوف وموجايف وفوزنيسينسكي ويفتوشينكو وباراجانوف وغيرهم.

في أعوام الثمانينات بدأت السلطات تلاحق لوبيموف ومسرحه بحظر عدة مسرحيات منها :العرض حول الممثل الراحل فلاديمير فيسوتسكي ومسرحية " بوريس جودونوف" لبوشكين " كما منعت سابقا مسرحية " الحي" لموجايف ومسرحية " احفظوا وجوهنا" للشاعر فوزينسينسكي و" رواية مسرحية " لبولجاكوف. وبعد ذلك سافر لوبيموف الى بريطانيا بدعوة من جمعية الصداقة البريطانية – السوفيتية لتقديم مسرحية " الجريمة والعقاب" لدوستويفسكي. ونشرت يومئذ جريدة " تايمس" حديثا معه انتقد فيه السلطات السوفيتية لمنع عروض مسرحه. وأعقب ذلك صدور أمر من وزارة الثقافة السوفيتية بإقصائه من منصب المدير الفني لمسرح تاجانكا ، ومن ثم صدور مرسوم السوفيت الأعلى بسحب الجنسية السوفيتية منه. ولم يعد لوبيموف إلى موسكو إلا في فترة "البيريسترويكا" في أيام الرئيس غورباتشوف حيث سمح له بالعودة إلى المسرح وتقديم عرض "مأدبة في زمن الطاعون" لبوشكين. وعروض" اليكترا " لسوفوكليس و" ميديا " ليوربيدز و" المراهق " لدوستويفسكي".

لقد جذب لوبيموف إلى العمل في مسرحه الممثلين الشباب من معهد شوكين المسرحي، ولهذا كان ملاك مسرحه يتغير باستمرار وتتكون نواته من الشباب مع بقاء بعض الممثلين البارزين. وكان غالبا ما يسافر إلى البلدان الأخرى لتقديم عروض فرقته المسرحية حيث يجد استقبالا حارا لدى الجمهور. وأصبح مسرحه حقا رمزا للمسرح الروسي المعاصر.

واليوم حين يترك لوبيموف مسرحه، وقد بلغ الرابعة والتسعين من العمر، وطلب إيقاف جميع العروض التي أخرجها فيه ، لن يبقى أي أثر لهذا الفنان الكبير في مبنى المسرح الواقع في تاجانكا. ويقال أن زوجته الشابة كاتالينا المجرية الأصل التي تتولى الإشراف على الشؤون المالية للمسرح كانت السبب الرئيسي في حدوث النزاع بين لوبيموف والممثلين. علما أن هذه الزوجة أصبحت في الفترة الأخيرة المدير الحقيقي للمسرح وكانت تقرر كل شيء في القضايا الإدارية والمالية . ويقول الممثلون إنها سبب الخلاف أصلا .ولا يعرف من سيأتي محله من المخرجين . بيد أن أي مخرج سيأتي بأفكاره وأساليبه وسيتغير وجه المسرح كليا . وستتشكل فرقة جديدة من الفنانين لا علاقة لها بمسرح لوبيموف. وبهذا تنتهي أسطورة مسرح لوبيموف التي حافظت على بريقها طوال نصف قرن من الزمان تقريبا.

قناديل

▪ لطفية الدليمي
Lutfia Aldulaimi

كتاب (تشي: الوجه الآخر)

تعرفت خلال عامي اللجوء في فرنسا بكاتب كوبي معارض لنظام كاسترو هو (خيسوس زونيكا)، الذي هرب من كوبا في مغامرة مروعة تاركا زوجته المحامية التي تعمل في مجال حقوق الإنسان وابنته الصغيرة وعمله كصحفي مستقل ،ولم يكن قادرا على مهاتفة عائلته، فكان يتصل بصديق له في بنما ليبلغ زوجته بأخباره ،كنا نقيم في بيت الصحفيين في باريس مع لاجئين آخرين– و نلتقي نهارا في قاعة دروس اللغة الفرنسية ثم ننشغل أنا وخيسوس بالكتابة كل على حاسوبه ، هو يكتب الفصول الأخيرة من كتابه الثاني (تشي: الوجه الآخر) وأنا أدوّن بعض اليوميات وأكتب الفصول الأولى لرواية (سيدات زحل)–بينما ينغمر الباقون بسماع الموسيقى والدردشة على المسنجر..

حدثني خيسوس كثيرا عن وحشية الثورة ودموية الثوار وانحلال الثورة وأيدلوجيتها جراء العنف المفرط والتطبيق الخاطئ للاشتراكية واستبداد مجموعة الثوار الذين امتلكوا السلطة واستيلائهم على مقدرات وممتلكات الطبقات المتوسطة والبورجوازية وطردهم المالكين من منازلهم وقصورهم إلى الشارع، ومن يعترض يكن مصيره الموت ، و قد وثق تحولات الثورة المشينة في كتابه الأول (كوبا- الديكتاتورية الاستوائية)، وكان معنيا بفضح الأسرار الخفية لما وراء بريق الثوار وصورتهم المؤسطرة ، في هافانا اخترق ملفات رسمية وسرق معلومات خطيرة قبل هروبه من كوبا مما أثار السلطة فأصدرت عليه حكما بالإعدام لكشفه معلومات سرية عن آلاف الضحايا الكوبيين –وفضحه وقائع غرائبية عن دموية الثوار إزاء المعارضين أثناء مشاركة جيفارا في الحكم ، وكان(تشي) حسب كتاب(خيسوس) المحرّك للعنف السلطوي، وقد استشهد (خيسوس) بكتاب مذكرات جيفارا (رحلة على دراجة) عندما اكتشف جيفارا بؤس القارة اللاتينية وجوعها الذي سببته الشركات متعددة الجنسيات وأكد فيه ضرورة إيقاظ السخط ومواجهة العدو بأقصى درجات العنف والكراهية، وتكشف مقولة جيفارا التي ختم بها كتاب مذكراته ،تلك التوجهات العنيفة (علمت أنه حين تقسم الروح الهادية العظيمة هذه الإنسانية إلى شطرين متصارعين ، فإني سأكون إلى جانب الشعب ، أعرف هذا وأراه مكتوبا في سماء الليل وأنا الداعية الذي اختاره القدر لهذا وأنا المحلل النفسي للعقيدة (...)، سأهاجم الماريس والخنادق وسأحمل سلاحي الملطّخ بالدم ، سأذبح -أنا الممتلئ بالسخط – أي عدو يقع بين يدي – أرى نفسي قربانا للثورة الحقيقية والمعادل العظيم لإرادة الفرد الذي يعترف باقترافه أبشع الأخطاء وأفدحها ، و أشعر بأن أنفي يتسع ليستنشق الرائحة اللاذعة للبارود والدم وموت العدو ويفعم جسدي بعزم حديدي فأعدّ نفسي للمعركة لتكون فضاء مقدسا).

ويقول جيفارا في مذكراته: (لكي ترسل رجالاً إلى فرقة الإعدام، فالإثبات القضائي غير ضروري...فهذه الإجراءات هي تفاصيل برجوازية قديمة. هذه ثورة، والثوريون يجب أن يصبحوا آلات قتل باردة مدفوعة بالكراهية الخالصة!)، وعندما صدر كتاب خيسوس (تشي: الوجه الآخر) كانت ساحات باريس تحتفل بذكرى جيفارا ويرتدي المحتفلون الراقصون على أنغام (السالسا) قمصاناً تحمل صورته بينما يستغل الصناعيون والتجار المناسبة كل عام ليبيعوا ملايين المنتجات التي تحمل صورته متربحين من قضية لايؤمنون بها !

وقد عمدت أفلام عديدة إلى تحطيم أسطورة جيفارا حين أظهرت الانتهاكات التي اقترفها هو و كاسترو وراؤول، ومن أبرزها الفيلم الموسيقي (المدينة المفقودة) الذي أخرجه ومثّله (أندي غارسيا) وقدم فيه مشاهد عن عنف جيفارا ورفاقه وانعكاسات العنف على المجتمع وثقافته ومصير كوبا.

وجهة نظر

سحق الهوية الوطنية العراقية ثقافياً وإنسانياً

علي عبد الأمير عجام

قبل أيام كنت أتابع بمزيجٍ من الحنين والمتعة الراقية عرضاً موسيقياً في إحدى القنوات الأميركية المتخصصة بالموسيقى المعاصرة، وفكرته قائمة على إعادة تجمع مغني ثمانينات القرن الماضي البريطانيين في عرض مفتوح بالهواء الطلق حضره أكثر من ١٠٠ ألف شخص، عاشوا المتعة والذكريات واستعادوا أحداثا شخصية وعامة قاربت الثلاثين عاما، عبر أغنيات لم تعد مجرد ألحان وكلمات، بل صورة روحية عن الوقت الذي أنتجها. وقبل كل هذا فان المشهد الممتد ما بين آلاف الحاضرين في موقع الحفل وصولا إلى ملايين في بريطانيا والعالم من مشاهدي محطات التلفزة، لا يمكن له سوى أن يتصل بمفهوم العناية بالهوية الوطنية البريطانية، حتى وإن كانت قد حضرت "معولمة" ومفتوحة على الآخر، فالموسيقيون والجمهور والحدث والزمان، كانوا جميعا ضمن نسيج شكّل جانباً من الهوية الوطنية البريطانية في بعدها الروحي والإنساني، عبر أغنيات الثمانينات البريطانية التي طبعت ذائقة أجيال عدة من كل مجتمعات العالم وثقافاته لما حملته من عناصر تجديد وأصالة في آن.

في مشهدنا العراقي ثقافيا وإنسانيا هناك ما أسميها "موجة البكاء الجماعي على أطلال الأغنية السبعينية"، فالشعراء والكتاب والمثقفون والموسيقيون ومتذوقو النغم العراقي حتى من أجيال جديدة، لا حديث لهم في ما خص تأثير الموسيقى الرفيعة والغناء الجميل في العراق، إلا الحديث عن أغنية تلك الفترة، غير أن اللافت هو غياب أي قدرة عند أوساطنا الثقافية، وبعضها حكومي ومؤثر ويدير أقساما مهمة في محطات تلفزيونية ووسائل إعلام تتمتع بقبول شعبي، على تنظيم حدث يتصل بفكرة الاحتفاء برموز تلك الأغنية في حدث ما، تنتعش فيها الهوية الوطنية العراقية، انطلاقاً من أن أغنيات أنتجتها سبعينيات القرن الماضي في العراق شكلت نسيج مشاعر لعراقيين كثر رغم اختلاف تكويناتهم الثقافية والاجتماعية.

لا المؤسسة الثقافية الحكومية تفعل هذا، ولا المؤسسات الثقافية شبه المستقلة حتى وإن كانت مسؤولة عن صلب الحياة الموسيقية في البلاد، لا الشركات الاقتصادية الرابحة، وقبل كل هذه اللائحة من المؤسسات العاجزة أو المتخلفة فكريا وبرامجيا، لا وسائل إعلام عراقية تتصدى لتنظيم حدث أو أكثر يعنى بجوانب روحية شكلت ملامح من الهوية الوطنية، رغم أن كثيرا من "المتباكين على أطلال رفعة أغنية السبعينيات" هم من العاملين المؤثرين في تلك الوسائل!

ليس هذا وحسب، بل إن تلك الوسائل الإعلامية والمؤسسات الثقافية تقدم كل ما هو مبتذل فكريا وروحيا لجهة التركيز على المشاعر الفجة المثيرة للقبليات الطائفية والعرقية، وهو ما يضيق الفسحة المشتركة التي تعنيها الهوية الوطنية ويمكن للفنون الرفيعة أن تتمثلها بقوة وتحرسها أيضا.

وقد تتذكر وسائل الإعلام تلك، وبخاصة المسموعة وأكثر منها المرئية، أن لا بد من حضور ما للهوية الوطنية العراقية، حينها يكون الوقت متاحا بالكامل للفجاجة التي اسمها "الأغنية الوطنية" لاسيما أن جديدها في العراق اليوم يأتي عبر أصحاب الأصوات والألحان ذاتهم الذين أنتجتهم أزمنة الرداءة الذوقية العراقية الممتدة من جيل "تلفزيون الشباب" لصاحبه عدي صدام حسين إلى أجيال تلفزيونات زمان الطائفية شديد القبح والهمجية.

إنه اتفاق شيطاني لكنه بقوى تأثير جبارة على سحق الهوية الوطنية العراقية، وتشييعها مثلما دأبت البلاد منذ حروب صدام إلى حروب الطائفيين، على توديع كل معلم جميل فيها ويشهق بالإنساني النبيل فكرة وأسلوباً.

محطات

أومبيرتو إيكو يشرف على كتب عن الحضارات القديمة الكبيرة لجريدة إيطالية

امبيرتو ايكو

بدات جريدة كوريير ي ديلا سيرا الإيطالية اليوم الأربعاء نشر سلسلة حول الحضارات القديمة ما بين شرقية ويونانية ورومانية يشرف عليها عَلم من دنيا الثقافة الإيطالية والعالمي، الكاتب والمفكر أومبيرتو إيكو، بالتعاون مع شخصيات هامة من بينها الكاتبة الإيطالية المتخصصة في الحضارتين اليونانية والرومانية إيفا كانتاريلا وأستاذ تاريخ الشرق الأوسط القديم في فيينا ميخايل يورسا ووالكاتب وأستاذ الأدب في جامعة سيينا الإيطالية ماوريتسيو بيتّيني وغيرهم.

تتكون السلسلة من ثلاثة مجلدات يكرّس أولها لحضارات الشرق الأوسط: الآشورية، البابلية، المصرية، الفينيقية، اليهودية والفارسية. ويتناول المجلد الثاني والثالث الحضارتين اليونانية والرومانية متناولَين العديد من جوانبهما. وتتميز هذه السلسلة بالتطرق إلى تفاصيل الحضارات المختلفة من وجهات نظر عدة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب استعراض الفنون التشكيلية والأدب، موسيقى ومسرح كل منها، دون تجاهل الجانبين الفلسفي والديني.

وتحدث أومبيرتو إيكو عن هذه السلسلة الجديدة ومعايير اختيار محتوياتها قائلا "اليونان التي نعرفها تخبئ حقائق أخرى قد تكون أكثر إثارةً. سنتطرق في هذا العمل إلى أفلاطون وإلى الرياضة، إلى المطبخ اليوناني والحياة اليومية في اليونان القديمة".

معرض لاختراعات دافينتشي في مطار روما الذي يحمل اسمه

دافنشي

تنظم هيئة مطارات روما معرضاً في قاعة الفنون الحديثة بمطار العاصمة الإيطالية الذي يحمل اسم ليوناردو دافينتشي، وكُرّس لأبحاث هذا العبقري العظيم وتجاربه المتعلقة بعالم الطيران. وستقدم هذه المبادرة، وللمرة الأولى على الإطلاق، المجموعة الكاملة لنماذج مطابقة للأصل للآلات الطائرة وأدوات الطيران المختلفة التي ابتكرها ونفذها دافينتشي. سيُفتتح المعرض في الثاني عشر من الشهر الجاري وسيتمكن الزوار لستة أشهر من التعرف على هذا الجانب الهام من عمل ليوناردو متعدد الاهتمامات والمواهب.

ونفذت مؤسسة أنثروبوس ٢١ نموذجا من ابتكارات العالم الكبير وذلك من المواد الأصلية، أي الخشب والمعادن والقماش، محاكية بدقة وأمانة رسوم دافينتشي في "شفراته" المختلفة. وتقدّم النماذج بأحجامها الحقيقية ترافقها لوحات توضيحية بست لغات ونسخ من رسوم ليوناردو. وتعرض هذه المؤسسة أعمالها بشكل دائم في ٧ دول وهذا عرضها الأول في مطار دولي.

سيتمكن الجمهور من مشاهدة اختراعات وابتكارات العبقري الكبير في المعرض الجديد متعدد الوسائط في مدخل مبنى المطار رقم ١، وذلك من خلال رحلة افتراضية وشديدة الواقعية في ذات الوقت، غنية بالعروض والأفلام الوثائقية والتعليقات الصوتية، ويشكل المعرض فرصة كبيرة لانغماس تام في عالم عبقري عصر النهضة الإيطالي. ومن الطريف أن الزوار سيجدون بين المعروضات، وللمرة الأولى، "الأورنيثبتور العمودي" اي الآلة الطائرة المجنحة التي استبق بها دافينتشي المروحيات الحديثة.